

المقاربة التواصلية في تعليم نحو العربية تفعيلاً وتقويماً: قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية - طرابلس أنموذجاً

مبروكة الهاشمي علي البوعيشي

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة طرابلس، ليبيا
m.elbuaishi@uot.edu.ly

المخلص

تقنين اللغة وصونها بصوغ قواعد النحو الدقيقة المتينة عمل عظيم انبرى له قديماً عدد من العلماء الذين صرفوا جهودهم ومالهم ووقتهم في سبيل ذلك، لكن الإنسان العربي المعاصر صار عازفاً عن هذا العلم، ضعيفاً في استيعابه، مدبراً عن التخصص فيه، يعاني من صعوبات جلية في استعمال لغة خالية من الأخطاء النحوية والتركيبية؛ وذلك بكل تأكيد نظراً لأسباب تكاثفت فأوصلت إلى هذا المأزق، لذا وجب التغيير والتطوير لكل ما يمت لدراسة وتدريس النحو بصلة، من ذلك الطريقة التي يعرض بها، ولذا قام هذا البحث بتناول استراتيجية حديثة هي المقاربة التواصلية وتوضيح خصائصها وأهدافها وسمات استخدامها لأجل تدريس النحو في الجانب النظري منه، ليختبر مدى ما يُمارس منها في قاعات الدرس وأثناء تقويم المتعلمين في الجزء الإجرائي، متخذاً من المنهج الوصفي التحليلي والتحليل الإحصائي سبيلاً.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، النحو، المقاربة، التواصلية.

The Communicative Approach in Teaching Arabic Grammar for Activation and Evaluation: Department of Arabic Language and Islamic Studies at the College of Education - Tripoli as a model

Mabrouka Al-Hashemi Ali Al-Buaishi

Assistant Professor, Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Education,
University of Tripoli, Libya
m.elbuaishi@uot.edu.ly

Abstract

Codifying the language and preserving it by formulating precise and solid grammar rules is a great work undertaken in the past by a number of scholars who spent their

effort, money and time for this, but the contemporary Arab person has become reluctant to this science, weak in comprehending it, neglecting to specialize in it, and He suffers from obvious difficulties in using language free of grammatical and syntactic errors, This is certainly due to the reasons that intensified and led to this impasse. Therefore, everything related to the study and teaching of grammar must be changed and developed, including the way it is presented. Therefore, this research dealt with a modern strategy, which is the communicative approach, and clarified its characteristics, objectives, and characteristics of its use in order to teach grammar in the theoretical aspect of it. To test the extent of what is practiced in classrooms and during the assessment of learners in the procedural part, taking the descriptive analytical approach and statistical analysis as a way.

Keywords: Arabic Language, Grammar, Approach, Communicative.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً يكافئ نعمه ويجازي إحسانه سبحانه، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

إن تمكن الطلبة من مادة النحو يترتب عليه تمكنهم من الاستعمال السليم للغة العربية، وعلى الرغم من أهمية هذا العلم يُلاحظ ضعف تحصيل الطلبة له، حيث تشيع الأخطاء لديهم في النطق والكتابة، فهم يحفظون القواعد النحوية ولا يوظفونها في أدائهم اللغوي، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف في التحصيل طريقة تدريس النحو التي تقدمه كقواعد صماء، ولا تركز على التطبيق العملي للقاعدة النحوية، وكذلك فإنه يدرس على أنه معرفة يجب حفظها واسترجاعها في الاختبارات، وهذه الطريقة الآلية الجافة لا تثير اهتمام المتعلمين، ولا تجعلهم يرغبون في إتقان مهاراته، والاستمتاع بدراسته، مما يدعو إلى استخدام استراتيجيات تدريس حديثة يمكن أن تردم الهوة بين المتعلمين وموضوعات هذا العلم، فهل يقوم الأساتذة بذلك في قاعات المحاضرات؟

وتركيز هذا البحث على الاستراتيجية التواصلية؛ لما لها من أهمية حيث تساعد على تنمية قدرة الطلاب على التفكير فيما يتعلمون، وتنظيم معارفهم، وتوظيفها في لغتهم، لقد سعت هذه المقاربة لتنمية القدرة التواصلية عند المتعلمين، فهي لم تتوقف عند التراكيب النحوية وقواعدها، إنما تجاوزت كل ذلك لتحقيق تطوع يكمن في تكوين متعلم قادر على استعمال اللغة وتوظيف قواعدها النحوية توظيفاً صحيحاً، ولذلك تبدو الحاجة ملحة إلى استخدام هذه الاستراتيجية في تحسين مستوى التحصيل النحوي.

ولعل أبرز الأسباب التي دفعت لاختيار هذا الموضوع محاولة معرفة أسباب ضعف المتعلمين في استعمال القواعد النحوية، وتوظيفها في سياقات تواصلية مختلفة، ومنه فإن الإشكالية المطروحة هنا تتمثل في: ما هي المقاربة التواصلية؟ وكيف يمكن أن يتم توظيفها لدراسة القواعد النحوية؟ وهل تمت ممارستها في تدريس النحو داخل أروقة الجامعة؟

أهمية البحث

تتجسد أهمية البحث في الجوانب التالية:

- البحث هو عملية أساسية في تطوير أي عمل ومنها العمل التعليمي.
- محاولة الإسهام في تطوير وتحسين طرائق واستراتيجيات تدريس مادة النحو بما يحقق أهداف العملية التعليمية.
- يفيد أساتذة النحو في الاستفادة من المقاربة في التدريس حيث قد تساعدهم على الخروج من الطريقة التقليدية لتدريس هذا العلم.
- يفيد الأساتذة في زيادة وعيهم بمهارات اللغة، وهو ما يرفع قدرتهم على تحسين قدرات المتعلمين وتدريبهم على تشرب اللغة، وتعليمهم كيف يكونون أكثر وعياً بمخرجات التعليم والتعلم.
- يعمل على تنمية مهارات تحصيل النحو الذي ينعكس على تحصيل اللغة ككل؛ وبذلك ينعكس على رفع مستوى المتعلمين في تحصيلهم العلمي لكل المواد.
- تحديد مدى حاجة أساتذة النحو للتطوير والتدريب لتحسين الأداء.

أهداف البحث

وتحدد أهداف البحث فيما يلي:

– يتوخى هذا البحث في الإطار النظري منه تغطية قدر الإمكان التعريف بالمقاربة التواصلية، وتبيين خصائصها، وتحديد أهدافها، والتعرف على كيفية الاستفادة منها لتحسين علاقة النحو مع متعلميه.
– ويهدف في جانبه الإجرائي إلى الكشف عن مدى استخدام المقاربة التواصلية في تدريس النحو، وأثر المقاربة في الطريقة المتبعة للتقويم.

الإطار النظري للبحث

تم عرض الإطار النظري للبحث من خلال المحاور الآتية:

1. مفهوم المقاربة التواصلية:

المقاربة لغة: "القرب ضد البعد، والاقتراب الدنو، والتقرب: التدني والتواصل بحق أو قرابة" (الفراهيدي، 2003م ق ر ب) (ابن فارس، 86م)، و"المقارب: الوسط بين الجيد والرديء" (مجمع اللغة العربية، 2004م، ق ر ب)

ومن خلال ما أورده أهل اللغة للفظ (قرب) يمكن أن نستشف أن مفهوم المقاربة هو الاقتراب والدنو من الشيء، وهي عكس البعد لكنها أيضا لا تعني الوصول إليه.

اصطلاحا: هي "كيفية النظر والتعامل مع الظواهر التربوية، وفق استراتيجيات وطرائق وتقنيات محددة" (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2020م، ص 72)، وهناك من يسميها مدخلا، ويقصد بها: الأسس التي تستند إليها طريقة التدريس، مثل فلسفة تعليم اللغة، والنظرة إلى الطبيعة الإنسانية، وشخصية المتعلمين. (طعيمة، 2004م).

أما التواصل، لغة: "وصلت الشيء وصلا وصلته، والوصل ضد الهجران... واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع... ووصل الشيء إلى الشيء وصولا وتوصل إليه: انتهى إليه وبلغه... والوصل ضد الهجران والتواصل ضد التصارم..." (ابن منظور، 81م، و ص ل)، فالتواصل يعني الجمع بين الأشياء، والربط بينها من غير انفصال أو انقطاع، والتوصليل الاتفاق والوصول، وبلوغ الغاية على خلاف التصارم والانفصال، ومما ينبثق عن مزيد (وصل) الخماسي مصدران هما اتصال على وزن افتعال الذي اشتهر في ستة معان هي: الاتخاذ كاختتم أي اتخذ له خاتما، والاجتهاد كاكْتَسَب أي اجتهد وطلب الكسب، والتشارك كاختصم زيد وعمرو أي اختلفا، والإظهار

كاعتذر أي أظهر العذر، والمبالغة في معنى الفعل كاقترد أي بالغ في القدرة، وسادسها مطاوعة الثلاثي كثير كوصلته فاتصل اتصالاً؛ ويلحظ أنه لا يحمل معنى المشاركة.

أما المصدر الثاني فهو التواصل على وزن تفاعل الذي يحمل أربعة معان هي: التظاهر بالفعل دون حقيقته كتناوم أي أظهر النوم، وحصول الشيء تدريجياً كتزايد أي حصلت الزيادة، ومطاوعة فاعل كباعده فتباعده، والتشريك بين اثنين فأكثر فيكون كل منهم فاعلاً كتواصل زيد وعمرو وخالد، والمصطلح تواصل بذلك يحمل معنى المشاركة. (الحملوي، 2000م)

اصطلاحاً: "هو عملية تبادل الأفكار والآراء والمشاعر بين الأفراد من خلال نظام مشترك ومتعارف عليه من العادات والتقاليد والرموز اللغوية، وهو علاقة اجتماعية بين الأفراد تستخدم فيها اللغة القومية في إطار مجموعة من المعايير والقواعد لإنجاز أهداف وأنشطة مقصودة" (شحاتة والنجار، 2003م، ص 159)، وقد استعمل الفعل (Communiquer) أول مرة في اللغة الفرنسية القديمة سنة 1361م، ومعناه ربط الشيء بالشيء، أما المصدر: (Communication) فقد استعمل سنة 1564م، واللفظ مشتق من اللاتينية الشعبية، ويدل على مجموع الوسائل والتقنيات الموظفة في نقل المعلومات بين الأفراد، والتواصل حوار يتبادل فيه الطرفان الحديث في دورة الكلام، حيث يكون أحد الطرفين مرسلًا والثاني متلقيًا، وعندما يردّ الثاني بالموافقة أو الاختلاف يصير مرسلًا، والمرسل الأول يصير متلقيًا، والتواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان، ويتضمن كذلك تعابير الوجه والحركات ونبرة الصوت والكلمات، ويستلزم ذلك النقل من جهة وجود شفرة، ومن جهة ثانية تحقيق عمليتين اثنتين، ترميز المعلومات (Encodage) وفك الترميز (Decodage) مع ضرورة الأخذ بعين الاهتمام طبيعة التفاعلات التي تحدث أثناء عملية التواصل، وكذا الاستجابة للرسالة، والسياق الذي يحدث فيه التواصل؛ لأن التواصل عملية اتصال تسير في اتجاهين، وهي تشمل:

– محاولة فهم الأفكار والمشاعر التي يعبر عنها الآخرون.

– الاستجابة أو الردّ بطريقة ناعمة ومساعدة، وهذا يعني أن قيام تواصل جيّد يحتاج إلى:

- مهارات الإصغاء إلى الآخرين، وفهم الرسالة التي يعبرون عنها، وقد نحتاج إلى سرعة بديهة وسعة صدر حينما نجد أنفسنا أمام شخص مضطرب يحتاج إلى دعمنا. وخصوصاً إذا كان طفلاً. لنستجيب بأفضل الطرق الممكنة.

- مهارات في إيصال الأفكار والمشاعر والاحتياجات بطريقة مساعدة، وتشكّل هذه المهارات جزءاً من الحياة الاجتماعية اليومية.
- أمّا التواصل التربوي فهو العملية التي يتم من خلالها تجاوب وتفاهم المعلم مع المتعلم فيتمكن الأول من نقل معرفة أو مهارة أو استراتيجية معينة معتمداً على الترميز المناسب للقدرات الاستيعابية لدى المتعلم، ومراعي القناة الملائمة لتبليغ الرسالة. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2011م)
- فالتواصل عبارة عن عملية مركبة تقوم على استعمال وسيلة معينة _ من أهمها اللغة _ لنقل المعلومات والخبرات وغيرها للآخرين، وتتأسس على مجموعة من العناصر الضرورية لإنجاح التواصل المتمثلة في:
 - المرسل: وهو مصدر المعلومات وحين يتم الرد عليه يصير مستقبلها في آن واحد.
 - المستقبل: الذي يستقبل المعلومات ويستوعبها، وقد يرد عليها فيصير مرسلًا.
 - الرسالة: وهي المعلومات التي تتناقل بين المرسل والمستقبل لفظياً وغير لفظي من الكلمات والتعبيرات والإشارات.
 - التغذية الراجعة: وهي الرسائل التي يرسلها المستقبل أو المستمع استجابة للرسالة الأصلية.
 - قناة الاتصال: وهي وسيلة نقل وتوصيل الرسالة اللفظية والبصرية.
 - السياق: وهو البيئة المادية والاجتماعية والنفسية والزمانية التي يحدث في إطارها التواصل أخذاً وعطاءً بين أفراد المجتمع. (شحاتة وآخر، 2003م)
- أمّا المقاربة التواصلية فهي مجموعة من المناهج والطرائق والاستراتيجيات المعتمدة في تعليم اللغة الثانية، لكنها صارت تستخدم في تدريس اللغة الأولى أيضاً، وقد أجريت بحوث لقياس مدى الالتزام بذلك، والفاعلية التي حققتها في المستوى التعليمي للطلاب منها: المقاربة التواصلية كفاءة الإنجاز وقدرة التواصل السنة الرابعة متوسط أنموذجاً، خيرة مريز، سعدة حساين، معهد الآداب واللغات، الجزائر 2016م (رسالة ماجستير)، تعليم اللغة العربية وفق المقاربة التواصلية _ السنة الرابعة متوسط أنموذجاً _ بشرى تمرود، عائشة بالكرشة، جامعة ابن خلدون. تيارت، 2020م (رسالة ماجستير)، المقاربة التواصلية وآلياتها التداولية في تعليمية اللغة العربية نشاط البلاغة للسنة الأولى ثانوي نموذجاً، نسيمة ملكي، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2022م، (رسالة ماجستير) ... وغيرها. وهي تنطلق من المنظور الوظيفي لتعليم اللغة الذي يسعى لتمكين المتعلم من التواصل

باللغة واستعمالها اجتماعيا وثقافيا ضمن مواقف تواصلية، وتتميز بمرونتها وانفتاحها على مسارب تعليمية مختلفة، وهي تقوم على التطور الوظيفي الحي للغة، وذلك باستعمالها وليس بمجرد التعرف على خصائصها وقواعدها ودراستها فقط، أي أنها تركز على تقديم الوظيفة التواصلية على قواعد اللغة المتنوعة أثناء تعليم اللغة.

لقد كان التعليم منصبا على دراسة الجملة ومكوناتها والعلاقات الكائنة بينها، والعمل على تحقيق كفاءة لغوية تعتمد على دراسة الجملة لكونها الوحدة الكبرى في التواصل، وقد أبانت هذه الطريقة عن قصور في جوانب عدة مما دعا إلى البحث عن مقارنة تعليمية أكثر فعالية، فكانت المقاربة التواصلية المستوحاة من اللسانيات التداولية هي السبيل لتدارك النقص وذلك من خلال دراسة اللغة في الاستعمال، أي معالجتها وهي تؤدي وظيفتها التواصلية. يقول دوجلاس براون "إن المناهج التي كانت ترتب مفرداتها على أسس نحوية ظلت مستخدمة قرونا عدة، ثم جاءت طريقة تعليم اللغة بهدف الاتصال لتضع التراكيب النحوية في إطار وظيفي، فلا يكون التركيز على القواعد، بل على استخدام اللغة الفعلية لإكساب الدارس الطلاقة الطبيعية" (براون، 94م، ص 261).

والمقاربة التواصلية هي التي تشجع جوا تواصليا تستخدم فيه مختلف الطرائق والوسائل لتحقيق الكفاءة التواصلية الهادفة إلى اكتساب كفاءة لغوية ذات مستوى معين، وهي استراتيجية يتبعها المعلم لتحصيل نتائج مضمونة في تعليم اللغة بطريقة تواصلية يحقق فيها المتعلم كفاءة تواصلية عن طريق وسائل وطرائق حديثة، ووضعية حوارية، ووسائل سمعية وبصرية، ورحلات ... وما إلى ذلك.

2. خصائصها:

تتلخص خصائص المقاربة التواصلية فيما يلي:

- النظرية التي تكمن وراء المقاربة التواصلية نظرية معرفية.
- ملكة التواصل ليست مجرد ملكة لغوية، بل هي لغوية اجتماعية.
- تعرض المادة بهذه المقاربة على أساس التدرج الوظيفي التواصلية وبذلك تصبح مادة التعلم وثيقة الصلة بأهداف التعلم، وهذا يتم دون إهمال للقواعد اللغوية التي هي العمود الفقري للغة.
- اختيار محتوى المادة بناء على المقاربة التواصلية يتم بالتركيز على وظائف ومواقف اجتماعية لا على القواعد اللغوية.

- تهتم الطريقة بالمواقف اللغوية والتعليمية والاجتماعية التي تجعل المتعلم يرغب ثقافيا ومعرفيا في استخدام اللغة كي يتعلم شيئا ما، أو يعمل شيئا ما، أو يسهم في شيء من عنده باستخدام اللغة.
- تهتم بالنشاطات التي تخلق مواقف واقعية حقيقية لاستخدام اللغة، مثل توجيه الأسئلة، وتسجيل المعلومات واستعادتها، وتبادل المعلومات والأفكار والذكريات، والتعبير عن المشاعر والمواقف، كما تتاح الفرصة للمتعلم ليمارس دور المشارك والمراقب والملاحظ والمستمع والمساهم.
- لتحقيق الخصائص السابقة لا بد من استخدام مختلف الوسائل السمعية والبصرية، مثل اللوحات والصور والأشرطة المسجلة المسموعة والمرئية. (خرما وحجاج، 90م)

3. أهدافها:

من الأهداف التي تسعى المقاربة التواصلية إلى تحقيقها:

- غرس مكونات الكفاية التواصلية في سلوك المتعلم مما يمنحه القدرة على إنتاج تراكيب اللغة، وتوظيفها، وتنسيق خطابات يدرك العلاقة بين مكوناتها.
- الوصول إلى مستوى عال من الكفاية اللغوية.
- الاهتمام بدمج المهارات اللغوية الأربع المتمثلة في فهم الخطاب الشفهي، التكلم، القراءة، الكتابة في الأنشطة التعليمية للغة بهدف التمكن من تحقيق الكفاية التواصلية.
- منح الأولوية للوظائف التواصلية للغة لكونها أفعالا يصدرها المتكلم بكيفية ما قصد توصيل مقاصد، والتأثير في السامع.
- التركيز على المتعلم والاهتمام به، وإعطاؤه الفرصة ليكون فاعلا في العملية التعليمية.
- تربط المقاربة بين محتويات التعلم وحاجات وميول المتعلمين.
- الاعتراف بالفروقات الفردية بين المتعلمين، ومنح كل منهم الفرصة ليتعلم حسب جهده، وقدراته، وإمكاناته. (طعيمة، 2004م) (خرما وآخر، 90م)

4. منهجية تعليم النحو في ضوء المقاربة التواصلية:

لقد كان النحو يسمّى علم العربية، وهو بهذه التسمية يفتح مجال النحو على اللغة بعامّة، وهذا هو شأنه؛ لأن وظيفته أن يوضّح المعاني ويوصلها للسامعين على سمت العرب، ولكن هذا النظر للنحو تقلّص بعد ذلك عند

المتأخرين الذين اتفقوا بأن النحو هو "علم بأصول يعرف بها أحوال الكلم إعرابا وبناء" (الفاكهي، 93م، ص 52_ 53) ، والملاحظ على هذا التعريف أنه ضيق مساحة النحو وجعله يقتصر على الناحية الشكلية التي كانت سببا فيما آل إليه من قواعد تجريدية الأسّ الأهم فيها معرفة المرفوع من المنصوب... والمعرب من المبني شكلا دون أن يكون للمعنى القيمة الكبرى، ودون أن يكون للاستخدام والوظيفة أي دور يُذكر، وتجريديته هذه أدّت إلى صعوبته من جهة، ونفور المتعلمين منه إضافة إلى ذلك بعد أمثلته عن الواقع، فوجدوا أن الاستغناء عن تفاصيله ممكن وبخاصة حينما انتشر البعد عن الإعراب في الكلام والحوار والخطاب إذ اتجه الكثيرون إلى تخفيف ذلك بالتسكين حين يقرؤون، وباستخدام العامية حينما يتكلمون في أي أمر من أمور حياتهم، ومن ذلك حين يعلّمون ويتعلمون، فلم يعد بسبب ذلك للفصحى المكان الكبير والاستعمال الملحوظ في مناحي الحياة المختلفة، يضاف إلى ذلك أن جهات العمل المختلفة لا ترى بأسا أن لا يكون من يعمل فيها مجيدا للعربية إجادة كاملة، فحسبه أن يفك الحرف ويركبه في تراكيب وجمل قد تكون بعيدة عن سمت العربية الأصيل الفصيح الصحيح، وسوق العمل عامل مؤثر؛ ولذلك لا نجد ذاك الاهتمام القوي الجدي من متعلمي العربية الذي يُرى حين يتعلق الأمر بتعلم الإنجليزية، أو التعامل مع الحاسب، أو غيرهما مما له طلب مُلِحّ في سوق العمل، وغير ذلك من الأسباب التي أدّت إلى هذا الانحدار في دراسة العربية والنحو خصوصا وتدريسها. وإذا عدنا إلى أصل وضع النحو وجدنا أن الهدف الأسمى من تأسيس هذا العلم هو معرفة أسرار التركيب القرآني، وكل هذا يقتضي تمييز التراكيب بعضها من بعض، ومعرفة خصائصها، واكتناه أسرارها، ومن المفروض أن ينطلق هدف النحو ليعود إلى تألقه ووجهه من هذا المنطلق الوظيفي والغائي، لتنتقل بذلك عملية التعليم من القواعد المجردة والاهتمام بالشكل التي شاعت كذلك في المصنفات النحوية وأدّت إلى أن يكون تعليم النحو يعتمد على أساليب الحفظ والتسميع واستظهار المعلومات دون توظيفها إلى أسلوب آخر هو الطريقة التواصلية.

إن وظيفة اللغة هي تحقيق التواصل في شؤون الحياة المختلفة، لذا فإن تعليمها وتعلّمها يقتضي تحديد مواقف الكلام المختلفة، وتكييفها داخل قاعة الدرس، وتوجيه العناية إليها؛ ليكتسب من خلالها المتعلم القدرة على استعمالها في مختلف المواقف الاجتماعية التي تعرض له في حياته، وبذلك يكتسب القدرة التواصلية المرتبطة أساسا باكتساب مهارات اللغة التي يتعلمها المتعلم مدمجة في النشاط التواصلية التعليمي وهي مهارة الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، ومما سبق يمكن أن نحدد سمات تعليم النحو بالمقاربة التواصلية:

- الاهتمام والاعتناء بجميع مكونات العمل التربوي.

- التركيز على القدرة التواصلية وليس فقط على القدرة النحوية أو القدرة اللغوية.
 - منح المتعلم المركزية وعدّه محور العملية التربوية، لذا تتاح له فرص كثيرة للكلام والكتابة، مما يمكنه من تعلّم القواعد النحوية ممارسة واستعمالاً.
 - تحفيز المتعلم على الطلاقة اللغوية أهم من التركيز على الدقة اللغوية؛ لأن ذلك يحفز ولا يثنيه عن المشاركة الفعالة في قاعة الدرس.
 - التركيز على آلية الاكتساب بدلا من آلية التعلم.
 - التواصل الجماعي الذي يسهم بفعالية في التكوين الجيد للمتعلمين، ومنحهم حرية التحوار وفرص التفكير؛ ليسهم ذلك في تمرين عقولهم وألسنتهم من خلال محاولة كل متعلم أن يتعلم ويحترف بمساعدة الجماعة.
 - دفع المتعلمين إلى اكتشاف المعرفة بأنفسهم.
 - عرض القواعد النحوية عرضا مبسطا يثير الانتباه، ويحفّز المتعلم على المشاركة الإيجابية التي تؤدي به إلى اكتساب عادات واتجاهات ومهارات عقلية مثل الحدس والتفكير الاستقرائي، والتحليل والاستنباط. (براون، 94م)
- وبناء على هذه السمات وجب حين الدرس النحوي اتّباع ما يلي:
- تنمية العادات اللغوية السليمة لدى المتعلمين.
 - بناء أسس دقيقة لتقليد العرب الفصحاء في طرائق كلامهم ومحادثتهم في أساليب لغتهم.
 - العمل بجدية على إكساب المتعلمين القدرة على فهم النصوص المتكاملة، واستنباط القواعد منها.
 - تعلم النحو انطلاقا من الحوار، والكشف والتنقيب خلال هذا الحوار عن وظائف المعاني للتركييب والمواقع الإعرابية.
 - انتقاء وتوفير ما يخدم غرض التواصل من وثائق ومحتويات ووسائل واستراتيجيات وأنشطة تحفّز المتعلم على التفاعل والتواصل.
 - جعل المتعلم يسهم فيما يتعلمه مما يجعله يمتلك المكوّن اللغوي والخطابي والنّصي والاجتماعي والتداولي وهي مكونات الكفاية التواصلية.

وبعد، فما هو واقع تدريس النحو في القاعات الدراسية؟ وما مدى استخدام المقاربة التواصلية أو بعضها من سماتها وإجراءاتها أثناء العملية التعليمية؟ هذا ما سيجيب عنه المبحث التالي المخصص للدراسة الميدانية.

إجراءات البحث

ما دفع إلى القيام بهذا الجانب الميداني هو الرغبة في معرفة ما يُمارس من استراتيجيات أو طرائق تدريسية لتعليم مادة النحو، لأجل ذلك تم وضع خطوات منهجية تتمثل في مجموعة من الفقرات مقسّمة على محورين، الأول موسوم بـ(استخدام المقاربة التواصلية في تدريس النحو)، والثاني عنوانه: (المقاربة التواصلية والتقويم)، وقد سبقهما تعرّف على أفراد عيّنة البحث من خلال بيانات عامّة.

وتتمثل إجراءات البحث فيما يلي:

1. حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة المكانية في جامعة طرابلس، كلية التربية _ طرابلس، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية تحديداً، أمّا الحدود الزمانية فهي خريف 2024م بحسب التقسيم الزمني للفصول الدراسية المعمول به في الجامعة.

2. عيّنة الدراسة:

تكوّنت عينة الدراسة من مئة طالبة من القسم المذكور، تمّ توزيع الاستبانة عليهن ليقمن بالإجابة عن فقراتها، وقد قمن بذلك جميعاً.

3. أداة الدراسة:

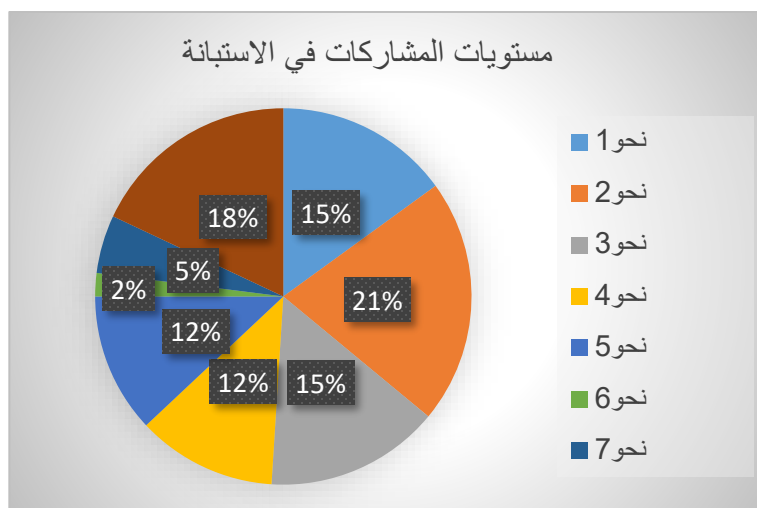
الأداة المستعملة في هذا البحث هي الاستبانة التي أعانت على الحصول على المعلومات المطلوبة، والوصول منها إلى النتائج، وقد تمّ الاعتماد على الإحصاء مع الوصف لتحليل النتائج.

4. تحليل الاستبانة:

أ- عرض وتفسير وتحليل البيانات العامة:

جدول رقم (1) يمثل مستوى الطالبات في دراسة النحو

المتغير	التكرار	النسبة
نحو 1	15	0.15
نحو 2	21	0.21
نحو 3	15	0.15
نحو 4	12	0.12
نحو 5	12	0.12
نحو 6	2	0.02
نحو 7	5	0.05
أنهت المستويات	18	0.18

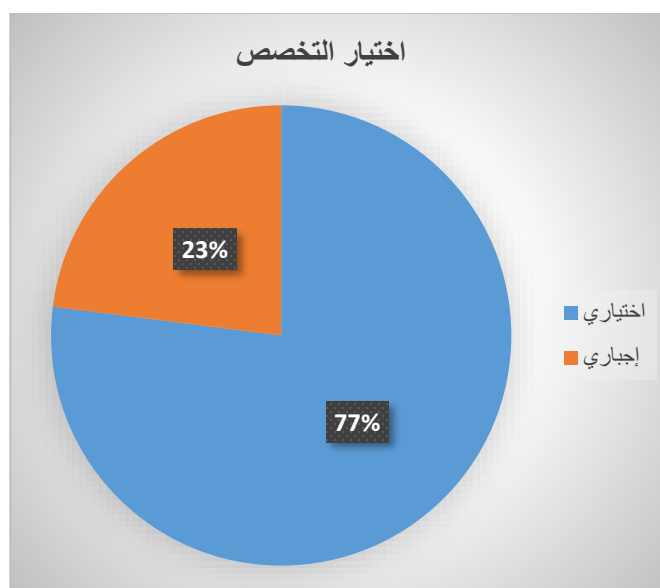


يلاحظ من خلال الجدول رقم (1) أن نسب الطالبات المجيبات عن الاستبانة من حيث مستواه في دراسة النحو متقاربة عدا نحو 6 ونحو 7 فالنسبة قليلة؛ إذ مادة نحو 6 لم تفتح في هذا الفصل الدراسي؛ لأن عدد الطالبات اللاتي سجلن في مجموعة هذه المادة اثنتان مما دعا القسم إلى إلغاء فتح هذه المادة، وأجل ذلك حتى الفصل القادم.

ملحوظة: مستوى النحو يتدرج من واحد إلى سبعة وهو آخر ما تدرس الطالبة في هذه المادة.

جدول رقم (2) يمثل توجه الطالبات إلى التخصص

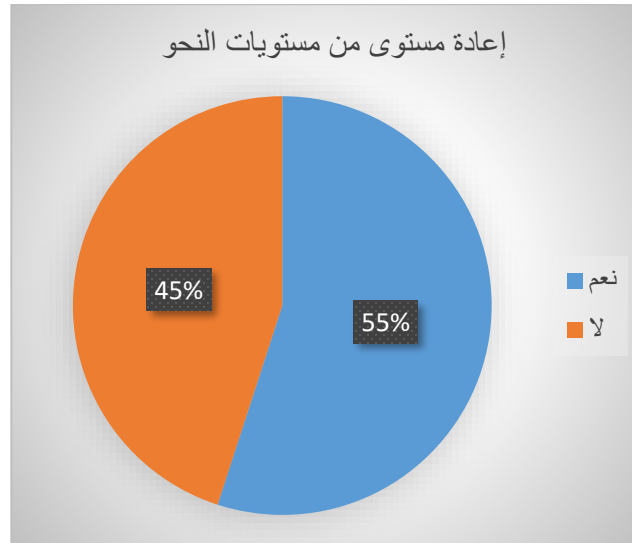
المتغير	التكرار	النسبة
اختياري	77	%77
إجباري	23	%23



يلاحظ من الجدول رقم (2) أن نسبة من دخلن القسم عن رغبة واقتناع وقدرها %77 أعلى من نسبة من أجبرهن أي ظرف على التخصص، مما يجعل هناك اطمئنانا إلى رغبة هؤلاء الطالبات في الدراسة، وبخاصة دراسة النحو.

جدول رقم (3) يمثل من أعدن أي مستوى في النحو ومن اجتزن المستويات دون إعادة

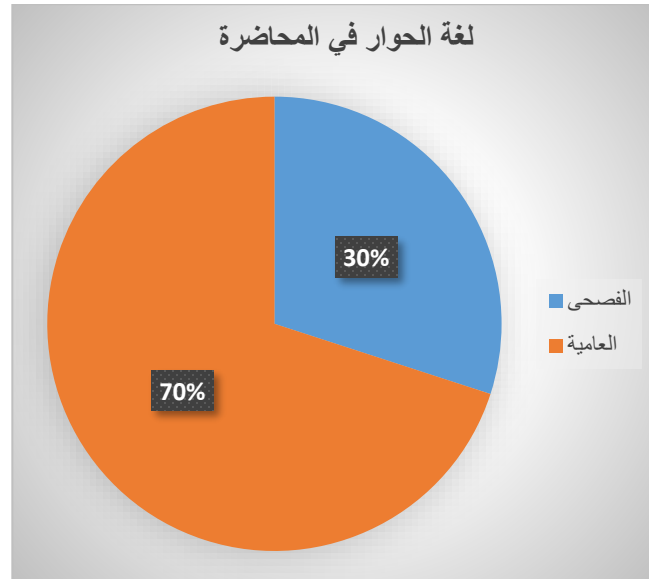
المتغير	التكرار	النسبة
نعم	55	%55
لا	45	%45



يلاحظ من خلال الجدول رقم (3) أن نسبة من أعدن مستوى أو أكثر من مستويات مادة النحو وهي 55% أكبر للأسف من اللائي توفقن في كل المستويات دون إعادة، فإذا استثنى من هذه النسبة الطالبات اللائي توجهن مجبرات لدراسة هذا التخصص، وتم التخمين أنهن ممن لم يوفقن، يكون هناك ثلاث وثلاثون طالبة _ تمثل حوالي ثلث من دخلن عن رغبة واقتناع للتخصص _ قد أخفقن في دراسة المادة، وهي نسبة كبيرة تدق ناقوس خطر، وتجعل التفكير في حل معضلة استصعاب النحو وعدم التوفيق في دراسته يجب أن تكون جادة وفعلية، والنسبة تبرر الآن سبب قلة الطالبات في المستويات الأخيرة من هذه المادة الذي يرجع لعدم التوفيق من جهة، ولتغيير المسار عن الإكمال في التخصص من جهة ثانية.

جدول رقم (4) يمثل لغة الحوار في المحاضرة

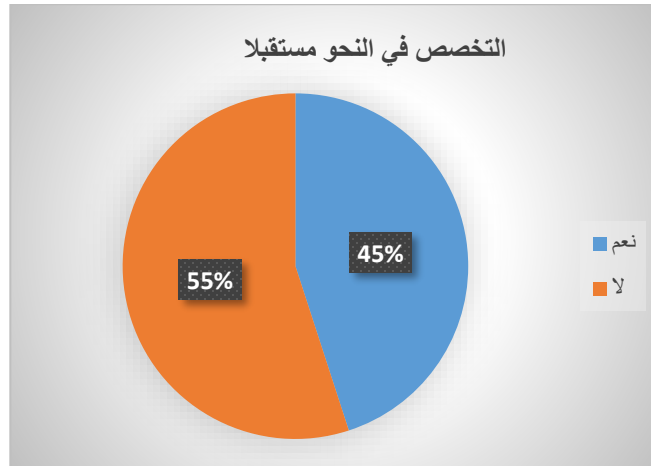
المتغير	التكرار	النسبة
الفصحي	30	30%
العامة	70	70%



يلاحظ من الجدول أن استخدام العامة لغة للحوار داخل قاعة الدرس النحوي بنسبة عالية من المجيبات عن الاستبانة (70%) تمثل بعدا فعليا عن أسلوب من أساليب التعليم التواصلي الذي يهدف إلى تعليم اللغة من خلال تنمية العادات اللغوية السليمة لدى الطالبات، وبناء أسس دقيقة لتقليد العرب الفصحاء في طرائق كلامهم ومحادثتهم في أساليب لغتهم، كما أنه يعمل على تنمية مهارة التحدث التي هي مهارة أساسية من مهارات اللغة الأربعة.

جدول رقم (5) يمثل من يرغبون التخصص في النحو ومن لا يرغبون

المتغير	التكرار	النسبة
نعم	45	45%
لا	55	55%



يلاحظ من الجدول رقم (5) أن نسبة من يرغبون في التخصص في النحو وهي 45% تعدّ عالية نسبياً نظراً لأنّ بالقسم ثلاث تخصصات، وهي الإسلاميات والأدبيات واللغويات التي منها النحو، وكذا فإن بعضاً من الطالبات قد يكتفين بشهادتهن الجامعية ولا يكون لديهن طموح لأي تخصص، وبذلك يمكن الحكم أن هناك إقبالاً على دراسة هذه المادة.

ب- عرض وتفسير وتحليل فقرات المحاور:

تمّ تصميم فقرات محوري الاستبانة على مقياس ليكرت الخماسي، حيث حوت على الاختيارات: دائماً _ غالباً _ أحياناً _ نادراً _ أبداً.

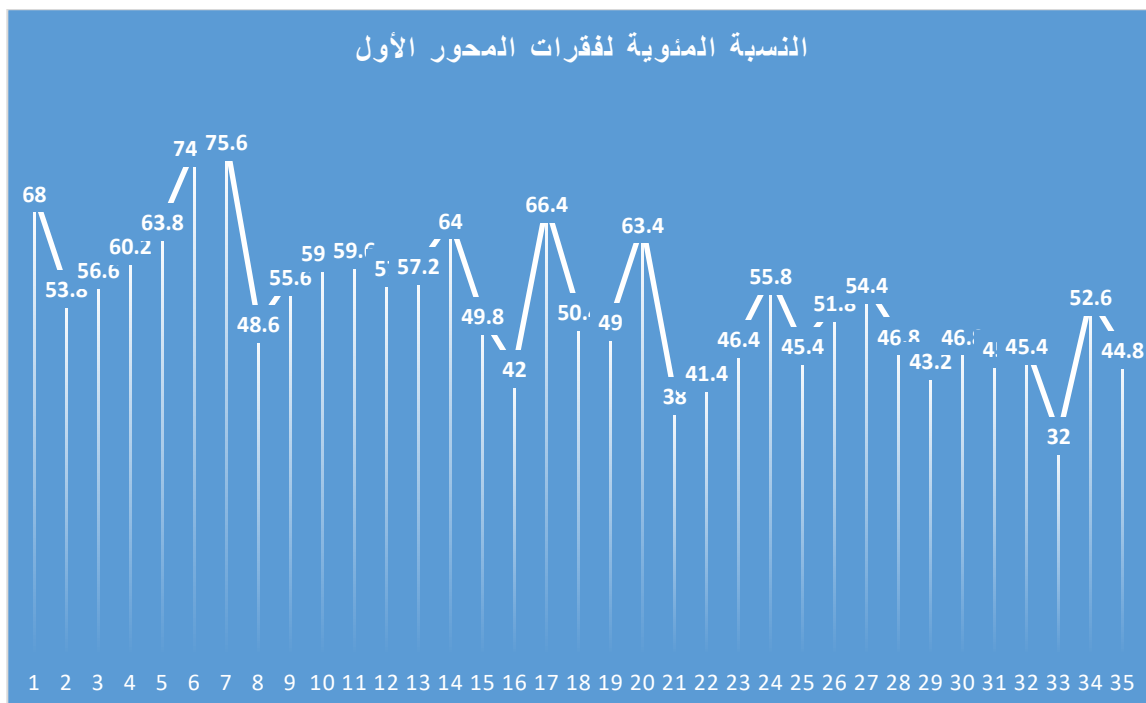
مما أعطى فسحة للمبحوثات أن يجبن إجابة قريبة جداً مما يحدث في قاعة الدرس أثناء محاضرة النحو، وتمّ تفرغ التكرارات لكل إجابة من إجابات الفقرات، ومن خلال الإحصاء الوصفي احتُسب المتوسط الحسابي لكل فقرة، والانحراف المعياري لها، والنسبة المئوية، كما تمّ تحديد اتجاه العينة العام من خلال ذلك، ومعرفة درجة التبني، إلى أن تمّ تحديد المتوسط العام لكل محور.

المحور الأول: استخدام المقاربة التواصلية في تدريس النحو:

حوت فقرات هذا المحور على تفاصيل ما يمكن استخدامه من طرائق ووسائل مادية ومعنوية وغيرها لتنفيذ المقاربة التواصلية، واتباع إجراءاتها في محاضرة النحو، فكان المتوسط العام للمحور كما يلي:

جدول رقم (6) المتوسط العام للمحور الأول

اتجاه العينة	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي
محايد	53.2	1.43	2.66



يلاحظ من خلال الجدول رقم (6) أن درجة تبني عينة المبحوثات في هذا المحور كانت متوسطة، وبناء على الانحراف المعياري فإن نسبة التشتت كانت منخفضة، فهناك توافق فيما بين المبحوثات في اختيارهن لإجابة فقرات هذا المحور، ولكن إذا أمعنا النظر في تفاصيل فقرات المحور نجد ما يلي:

الفقرة رقم (33) التي تمثل: (يستخدم أستاذ النحو الرسومات والأشكال التوضيحية والتسجيلات المرئية عند شرح المحاضرة). أخذت درجة منخفض جدا في درجة التبني، إذ اتفقت إجابات المبحوثات بنسبة 32% على اختيار (أبدا) من الإجابات مما يعني عدم الاستخدام نهائيا لهذه الوسائل التوضيحية من أساتذة النحو.

والفقرات التي أخذت درجة تبني منخفضة هي:

جدول (7) بعض فقرات المحور الأول

درجة التبني	اتجاه العينة	النسبة	الانحراف	المتوسط	الفقرة
منخفضة	نادرا	51.8	1.31	2.59	يعمل أستاذ النحو على تنمية مهارة القراءة من خلال تخصيص وقت لقراءة نصوص متكاملة تُدرّس من خلالها القاعدة النحوية.
=	=	50.4	1.38	2.52	يهتم أستاذ النحو بفضاءات النص المعرفية والدلالية قبل النحو.
=	=	49.8	1.40	2.49	يشجع أستاذ النحو الطالبات على توظيف المعارف النحوية في تواصلهن مع بعضهن بعضا في المحاضرة.
=	=	49	1.43	2.45	ينشغل أستاذ النحو في بعض الأحيان بتحليل جوانب النص المعرفية والدلالية مما يؤدي إلى عدم الوصول إلى القاعدة النحوية المطلوبة في المحاضرة.
=	=	48.6	1.31	2.43	يستعين أستاذ النحو بوسائل غير لغوية لتحقيق التواصل الحري بين الطالبات.
=	=	46.8	1.23	2.34	يعمل أستاذ النحو على تنمية مهارة الكتابة من خلال تشجيعه للطالبات على كتابة نصوص حيوية تستخدم فيها القواعد النحوية المدروسة.
=	=	46.8	1.42	2.34	يوجه أستاذ النحو الطالبات لإنجاز أوراق عمل تسهل عليهن التعامل مع مصادر متنوعة للمادة.
=	=	46.4	1.42	2.32	يجعل أستاذ النحو الطالبات يفكرن فيما يستمعن إليه للكشف عن العلاقات بين القواعد النحوية.
=	=	45.4	1.25	2.27	يسمح أستاذ النحو للطالبات بالكلام مع بعضهن بعضا في حوارات حيوية لخدمة تعليم القاعدة.
=	=	45.4	1.25	2.27	يعمل أستاذ النحو على أن توظف الطالبات كل القواعد لتسلح بمنهجية لغوية تمكنها من الإفصاح عن رأيها، وإبداع نصوص من عندها.
=	=	45	1.29	2.25	يشجع أستاذ النحو الطالبات على القراءة التفاعلية والبحث وصولا إلى معرفة القاعدة النحوية.
=	=	44.8	1.36	2.24	يختتم أستاذ النحو المحاضرة بقضية مثيرة تتعلق بموضوع المحاضرة التالية.
=	=	43.2	1.18	2.16	يشجع أستاذ النحو الطالبات على عرض النصوص التي قمن بكتابتها لتحليلها.
=	=	42	1.29	2.10	يسمح أستاذ النحو بأن تنبه كل طالبة زميلاتها بما في كلامهن من أخطاء ويعد ذلك وسيلة تعليمية.
=	=	41.4	1.38	2.07	يسهل أستاذ النحو تحليل وتفسير واستنتاج المفاهيم النحوية من النصوص المسموعة.
=	=	38	1.32	1.90	يعمل أستاذ النحو على تنمية مهارة الاستماع بوسائل متنوعة، من خلال شرحه الفصيح، وبالاستعانة بتسجيلات نصية صوتية.

ويُلاحظ أنها تمثل استخدام الوسائل المتنوعة للتدريس، وتنمية المهارات الأربع، الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، كما أنها احتوت على عمليات التحليل والاستنباط في الوصول للقواعد النحوية، وكذا النقاشات والحوارات التي تعزز عملية التعلم، والتحليلات والتفسيرات والاستنتاجات، وتوليد الأفكار الإبداعية مما يجعلنا نتأكد من عدم استخدام المقاربة التواصلية؛ لأن هذه الفقرات تمثلها أكثر من تلك التي أخذت درجة تبني متوسطة وهي ست عشرة فقرة وكذا مرتفعة وهي فقرتان؛ لأنها تتكلم عن مخرجات التعلم المستهدفة،

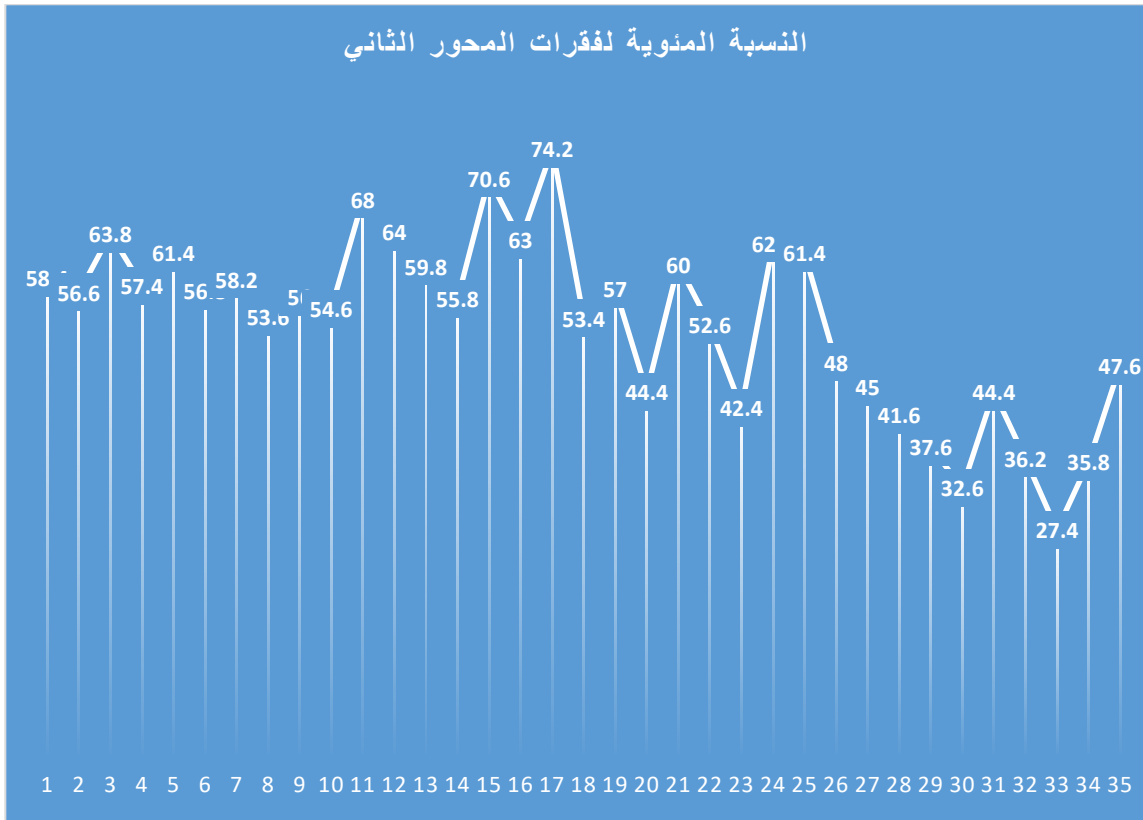
وقياس هذه المخرجات، واستخدام العصف الذهني، وكذا التقويم القبلي وغيرها، وهي قاسم مشترك بين المقاربة التواصلية والطرائق الكلاسيكية المستخدمة في تعليم النحو.

المحور الثاني: المقاربة التواصلية والتقويم:

حوت فقرات هذا المحور على طرائق تقويم مناسبة لإجراءات المقاربة التواصلية، فكان المتوسط العام للمحور كما يلي:

جدول (8) المتوسط العام للمحور الثاني

اتجاه العينة	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي
محايد	53.2	1.43	2.66



ما يلاحظ من خلال الجدول رقم (8) هو التوافق التام بين نسبي المحورين، وهو مما يدل على الانسجام الذي حصل في إجابة كل مبحوثة من الطالبات إزاء المقاربة والتقييم المصاحب لإجراءاتها. ولكن الاختلاف جاء في بعض التفاصيل المتمثلة فيما يلي:

أخذت ثلاث فقرات درجة تبني منخفضة جدا وهي:

جدول (9) بعض فقرات المحور الثاني:

درجة التبني	اتجاه العينة	النسبة	الانحراف	المتوسط	الفقرة
منخفضة جدا	أبدا	35.8	1.13	1.79	يقوم أستاذ النحو الطالبات من خلال نصوص مكتوبة من إبداعهن.
=	=	32.6	0.99	1.63	يقوم أستاذ النحو الطالبات عن التواصل غير اللفظي من خلال الاستفادة من الإشارة ولغة الجسد والنبر وإيقاع الصوت.
=	=	27.4	0.95	1.37	يقوم أستاذ النحو الطالبات من خلال تحليل مشاهد مرئية معروضة (فيديو).

وهي أيضا تحكم بعدم استخدام بعض الوسائل التعليمية، وعدم الاستفادة من التواصل غير اللفظي، وعدم التدريب والتقييم من خلال مهارة الكتابة نهائيا من أساتذة النحو.

ودرجة التبني المنخفضة لمحتوى الفقرات كانت من نصيب تسع فقرات هي:

جدول (10) فقرات أخرى من المحور الثاني:

درجة التبني	اتجاه العينة	النسبة	الانحراف	المتوسط	الفقرة
منخفضة	نادرا	48	1.43	2.40	يخصص أستاذ النحو جزءا من علامات الطالبات للأنشطة والمشاركة.
=	=	47.6	1.33	2.38	يهتم أستاذ النحو بتوظيف نتائج التقييم لتحسين التحصيل المعرفي والمهاري والوجداني للطالبات.
=	=	45	1.35	2.25	يطلب أستاذ النحو من الطالبات الإعداد القبلي للمحاضرة ويدخل ذلك ضمن التقييم.
=	=	44.4	1.20	2.22	يقوم أستاذ النحو بتقييم الطالبات من خلال تواصلهن مع بعض.
=	=	44.4	1.27	2.22	يقيم أستاذ النحو حوارات تفاعلية ليقوم الطالبات من خلالها.
=	=	42.4	1.13	2.12	يقوم أستاذ النحو الطالبات من خلال تكليفهن بأنشطة تعليمية فردية وأخرى جماعية.
=	=	41.6	1.20	2.08	يقوم أستاذ النحو بالامتحان الشفهي الدوري المصاحب للتحريري.
=	=	37.6	1.15	1.88	يقوم أستاذ النحو الطالبات من خلال نصوص مسموعة يعملن على تحليلها وإجابة الأسئلة من خلالها.
=	=	36.2	1.14	1.81	يقوم أستاذ النحو الطالبات بالامتحان القائم على تحليل أشكال توضيحية معروضة.

وبتمعن يسير نلاحظ أن انخفاض التبني كان لندرة التقويم من خلال مهارات اللغة التي هي مكون أساسي للتواصلية، وكذا للحوارات التفاعلية التواصلية، وهي لب الاجراءات في المقاربة، والأنشطة العلمية المتنوعة المصاحبة للدراسة سواء أكانت فردية أم جماعية، وكذلك كان نادرا أن يكون التقويم شفهيًا، ولا تستخدم الوسائل التعليمية المتنوعة عند عملية التقويم، وهذا كله يؤكد الاستنتاج السابق الذي تم استنباطه من خلال اختيارات المبحوثات والمتمثل في عدم استخدام إجراءات المقاربة التواصلية المتنوعة، إنما تسود محاضرات النحو الطريقة الكلاسيكية القائمة على شرح الأستاذ للمحاضرة مع إنصات الطالبات وهذا بكل تأكيد يجعل مشكلة النحو باقية وتمتد، ويجعل من النحو معضلة عند متعلميه.

الخاتمة

- إن تطبيق المقاربة التواصلية، والاستفادة من مبادئها وإجراءاتها، يُسهم في رفع مستوى المتعلمين لمادة النحو، ويجعل منها مادة محبوبة لما يصابها من عروض مرئية وغيرها في عصر صارت الصورة فيه مسيطرة على حياة الناس، من خلال انتشار تكنولوجيا الاتصالات وغيرها بين الجميع.
- وهي تهدف إلى إكساب المتعلم قدرة تواصلية تجعله يحصل على كفاءة لغوية عالية من خلال استثمار المقاربة في محاورات ونقاشات ودراسة تواصلية مختلفة؛ مما يُكسب المتعلم فهما للنصوص والخطابات، وإمكانية عالية في التحليل واستنباط القوانين والقواعد النحوية.
- ولكن هذه المقاربة ليس لها أي دور يُذكر في قاعات الدرس النحوي بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية طرابلس، وهذا ما لمس من خلال الدراسة الميدانية التي أجريت، ولكن لا يمكن لوم الأستاذ الجامعي في مجال تدريس النحو ألا يستعين بهذه المقاربة لأمرين:
أولهما: تحتاج المقاربة أن يكون المتعلم معتادا على مثل هذه الإجراءات التي تتبع عند ممارستها، وطلابنا يصلون إلى الجامعة وهم لا يعرفون سوى التلقين أسلوبا تدريسيًا، والاسترجاع تقويمًا.
والأمر الثاني: يتمثل في عمق وطول مقرر النحو أمام ما كان يدرسه الطالب في الثانوية، فموضوع مثل الضمير تم اختصاره في المرحلة الثانوية إلى عناوين تذكر الضمير المنفصل والمتصل والبارز والمستتر رفعا ونصبا وجرا وكفى، وهو لم يتجاوز الصفحات الثلاث في الكتاب المدرسي، في حين تنتظر الطالب في هذا الموضوع فقط حوالي خمس عشرة صفحة من القطع المتوسط مع تفاصيل كثيرة لم يسمع عنها شيئا، وأسلوب جديد يتمثل

في أسلوب كتاب قديم لم يعتد عليه نهائيا (شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك) المقرر المعتمد في القسم، فأى تواصلية هذه ستطبق لطالب لا يعرف عن العربية وهو خريج المرحلة الثانوية سوى النزر اليسير.

– ويضاف إلى هذا وذاك أن لغة التدريس في المدارس هي العامية على الأغلب، وهي وسيلة معرقله عن إكساب المتعلم اللغة الفصيحة، ولذا يقترح هذا البحث أن توجه الأنظار إلى سنوات الإعداد في المراحل الدراسية السابقة للجامعة، لأنها الأساس الذي إذا أخذ حقه من الاهتمام يمكن أن يتغير حال الطالب فيصير بحق طالبا جامعيًا باحثا يسعى للمعرفة، ويجيد قدرًا كافيًا من العربية استطاع تحصيله خلال اثنتي عشرة سنة دراسية، لا أن يصل إلى الجامعة طالب لا يجيد القراءة والكتابة فيبدأ معه الأستاذ الجامعي من الصفر.

– إن منظومة التعليم العام والجامعي والعالي منظومة متكاملة، يجب أن يتم فيها الاهتمام بالأساس حتى يمكن إعلاء البناء في المراحل المتقدمة استنادا إلى ذلك الأساس المتين.

مراجع البحث

1. براون، دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة: د. عبده الراجحي، د. علي علي أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، 94م.
2. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 2، 86م.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 81م.
4. الحملوي، الشيخ أحمد، كتاب شذا العرف في فن الصرف، دار الفكر، بيروت، 2000م.
5. خرما، د. نايف، حجاج، د. علي، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 90م.
6. شحاتة، د. حسن، النجار، د. زينب، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، مراجعة د. حامد عمار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط. 1، 2003م.
7. طعيمة، د. رشدي أحمد، المهارات اللغوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط. 1، 2004م.
8. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ترتيب وتحقيق: د. عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط.1، 2003م.

9. الفاكهي، عبدالله بن أحمد، شرح كتاب الحدود في النحو، تحقيق: د. المتولي رمضان الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.2، 93م.

10. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط.4، 2004م.

11. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معجم مصطلحات المناهج وطرق التدريس، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2011م.

12. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحد لمصطلحات الاستراتيجيات التربوية والتعليمية (إنجليزي، فرنسي، عربي)، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2020م.